

تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها – دراسة تاريخية
Ibn al-Mufti's Restrictions in the Bashwat of Algeria and Its Scholars -
Historical Study

شارف محمد – طالب دكتوراه علوم

Charef Mohamed – Students Doctoral

جامعة العقيد أحمد دراية أدرار

University Colonel Ahmed Deraya Adrar

تاريخ القبول: 2020/12/13

تاريخ الإرسال: 2019/11/19

Abstract:**ملخص:**

Ibn al-Mufti's restrictions are a source of Algerian history sources in the Ottoman era in Algeria, and it was written by its owner whom we do not know a name for amusement - as he himself mentioned - despite that, these restrictions are of great historical importance, because they give us information that we may not find in other historical writings, He also chronicles every incident he mentions, and thus his book can be considered a diary, or restrictions, because he was keen to trace the chronological order of events, and therestrictions have a great historical, political, cultural, economic and social importance, which is indispensable for the researcher if he wants to know the various historical developments in The period of Ottoman rule in Algeria.

key words: mufti ; Restrictions History; chaouch; politician ; cultural ; social.

تقييدات ابن المفتي مصدر منمصادر التاريخ الجزائر في العهد العثماني بالجزائر، وقد كتبها صاحبها الذي لا نعرف له اسماً بدافع التسلية - كما ذكر هو نفسه - ورغم ذلك فإن هذه التقييدات ذات أهمية تاريخية بالغة، لأنها تعطينا معلومات قد لا نجدها في غيرها من المؤلفات التاريخية، كما أنه يؤرخ لكل حادثة يذكرها، وبذلك يمكن اعتبار كتابه بمثابة يوميات، أو تقييدات، لأنه كان حريصاً على تتبع الترتيب الزمني للأحداث، وللتقييدات أهمية تاريخية بالغة، سياسية، ثقافية، اقتصادية واجتماعية، لا غنى للباحث عنها إذا ما أراد معرفة مختلف التطورات التاريخية في فترة الحكم العثماني بالجزائر.

وهذا ما نودّ طرحه في هذا البحث ضمن الإشكالية التالية: ما الأهمية التاريخية التي تكتسبها تقييدات ابن المفتي؟ وسنحاول الإجابة عن ذلك مستعينين بالمنهج التحليلي الملائم لطبيعة البحث التاريخي.

الكلمات المفتاحية: تقييدات؛ تاريخ؛ مفتي؛ شاوش؛

سياسي؛ ثقافي؛ اجتماعي.

مقدّمة:

وتتمثّل أهميّة هذا البحث في إعطاء نبذة عن الكتاب الوحيد لابن المفتي، هذا الأخير الذي لا نعرف اسمه، لأنّه ببساطة لم يذكره، واكتفى بنسبة نفسه إلى والده "حسن بن رجب شاوش المفتي"، وهذه ترجمته:

2. ترجمة ابن المفتي

ابن المفتي هو الاسم الذي اختاره الكاتب لنفسه، وهذا ربّما ما جعله غائبا عن ذهن من ترجموا للمؤلفين الجزائريين، فهو من أعلام القرن الثاني عشر (نصفه الأول)، وبناءً على ذلك، فمن المفروض أن يكون معروفا لمن عاصره أو جاء بعده، لكن ذلك ليس غريباً لأنّ العديد من المصادر والوثائق الأدبية والتاريخية قد فقدت بعضها أو كلها نظراً لما تميز به المغرب الأوسط من الحملات الاسبانية والفرنسية، وربّما يعود ذلك إلى أسباب لعل أهمّها:

1 - لم يكن المؤلف من الكتاب المعروفين، فلم يذكر لنا جامع الكتاب أي مؤلف آخر غير التقييدات.

2 - ذكر المؤلف أن سبب كتابته لتقييداته لم يكن إلا تسليّة له بعد أن فقد أولاده وأصابه الحزن.

وليس هناك أخبار كثيرة عنه، سوى ما ذكره في تقييداته عن سلفه وشيوخه، والوظائف التي شغلها والده "حسين بن رجب"، وهي أخبار تلقي أضواء على ظروف تأليفه، كما سنرى، وهو تأليف ذو لغة بسيطة، لكنّها كانت كافية لإضفاء القيمة التاريخية المطلوبة، لأنّه كان أميناً في نقل الوقائع والأحداث، «وقد ولد بمزغنى

ما يميّز الفترة العثمانية بالجزائر، تغلغل العنصرين التركي والكرغلي، فالأول استأثر بالحكم، والثاني استأثر بالمناصب العسكرية والوظائف الحكومية، ونجد معلومات لا بأس بها عن هذا العهد في بعض المصنّفات كالرحلات والسير والأخبار، التي عالج فيها أصحابها بعض القضايا التاريخية المتعلقة بالفترة المذكورة، بحاسنها ومساوئها، لأنّ الحكّام الأتراك لم يكونوا على درجة واحدة من القيم والأخلاق.

ومن المؤلّفات القيّمة في هذا المجال (تقييدات ابن المفتي)، الذي يعطينا صورة متكاملة عن الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في مدينة الجزائر، إبان الوجود العثماني كما كان شاهداً على بعض الأحداث والغارات الصليبية على المدينة، لذا كان علينا أن نجيب في هذا البحث على الإشكالية التالية:

ما الأهمية التاريخية التي تكتسبها (تقييدات ابن المفتي)؟

للإجابة على ذلك وضعنا الفرضية التي نجلها فيما يلي: سجّل ابن المفتي الكثير من الأحداث السياسية والإدارية، كما أشار إلى بعض الكوارث التي حلّت بمدينة الجزائر، وتقييد سنوات تولّي وعزل الحكّام والمفاقي، إضافة إلى دراسة الحياة الثقافية والاجتماعية آنذاك ...

عمره، وقد توفي المفتي "حسين بن رجب شاوش" في مدينة الجزائر ودفن بها»³

وكما ذكرنا، فإنّ والد "حسين بن رجب شاوش"، (جدّ المؤلّف) ليس من مواليد الجزائر، وإنّما كان من أولئك الشّبان المغامرين، الذين كانت ترسلهم الدّولة العثمانيّة في الأقاليم التّابعة لها، ويبدو من خلال (تقييدات ابن المفتي) أنّ جدّه قد أُلوع بالبحر والسّفن، وحبّ الاستطلاع، رفقة أخيه الأكبر، وتدرّج في الرّتب البحريّة حتّى وصل إلى رتبة "ورديان باشي".

«أما جده "رجب بن محمّد" فقد ولد في (قارة حصار) بالقرب من (أزمير) في آسيا الصغرى وجاء إلى الجزائر مع أخيه الأكبر ضمن الشّبان المغامرين الذين كانوا يلتحقون بالجيش العثماني في الجزائر، وكثير من هؤلاء الشّبان المغامرين كانوا يصلون إلى مراتب عالية في الدولة، إذا كانوا يتمتعون بالذكاء والتّعرف على طرق الصعود، ويمكننا أن نشير في هذا الصدد إلى صعود نجم "محمد بكداش باشا" و"صالح باي"⁴

وفي ذلك - وحول سبب إطلاق لفظة شاوش عليه - يقدم لنا المؤلّف تعريفا موجزا حول جده رجب كما جاء في القسم الأول من الكتاب وهو الخطبة:

«وأما جدّي لوالدي، فقد قدم للجزائر وهو مرّاهق، يعرف البيع والشراء صحبة أخيه الأكبر منه سنّاً في السفن المرسلّة لإعانة الجزائر من السّلطان العثمانيّ على العادة المعلومة⁵، ولما بلغ هذا الجد سنّ الكهولة أُلوع بالسفر في البحر طلبا لنيل الغنائم ثم تولى ورديان باشي⁶ على غلياطتين⁷ للولية "زهرة باي"، ورثتهما عن

الجزائر، وبها المنشأ والقبر، وأما أبوه فإنّه ولد بقرية قارة حصار من مقاطعة ملّمان، وهي أرض واسعة تقابل مدينة أزمير»¹

فولادة ابن المفتي» (وهو الاسم الذي اختاره لنفسه) كانت في مدينة الجزائر بتاريخ لا نعرفه بالضبط، من عائلة كانت متصلة بالحكم اتصالا مباشرا، فهو من الكراغلة المنحدرين من نسل عثماني وجزائري، فإذا عرفنا أنه أنهى كتابه بذكر تولية المفتي الحاج أحمد الزّروق بن محي الدين بن عبد اللطيف سنة [1166هـ / 1753م]، وأنّه لم يكتب كتابه إلا بدافع الكبير والحزن، أمكننا أن نتصوره قد ولد أواخر القرن الحادي عشر، وليكن ذلك حوالي سنة [1095هـ / 1684م]²

ولحسن الحظّ أنّه ذكر معلومات عن أبيه وجدّه وشيوخه الذين درس عليهم في مدينة الجزائر، وهي معلومات هامة، لأنّها تلقي الضّوء على حياة المؤلّف، وأصوله، وكيف أنّ جدّه كان مولعاً بالسّفن، وغير ذلك من المعلومات التي تساعد على فهم ظروف كتابة المؤلّف لتقييداته، وكيف كان شاهداً على مختلف الأحداث التي ذكرها سواء في قسم الباشوات أو في قسم العلماء، فوالده «المفتي "حسين بن رجب شاوش" محمد قد ولد أيضا بالجزائر وتولى الفتوى سنة [1102هـ/1691م] وعمره ثلاثون سنة، ومعنى هذا أنه قد ولد سنة [1072هـ / 1662م]، وبذلك يكون قد أنجب ابنه (المؤلّف) وهو في الثالثة والعشرين من

من أصحاب المفخرة والتعظيم والاحترام من قبل الولاة، وفي ذلك يقول:

«وتولّى والدي مفتياً وسنّه ثلاثون عاماً، ومكث في الفتوى اثني عشر سنة، وقد زاد والدي تفخيماً وتعظيماً؛ وذلك بسيرته المحمودة وأخلاقه الرفيعة، وكان محبوباً عند الولاة، وكانت له اليد الطولى والكلمة النافذة المسموعة عندهم، وكان يبذل نفسه في قضاء مصالح من يتعلّق به، ولا يلتفت إلى فائدته الشخصية [وكان من عادته أن يقول لي: كن رأس سردين، ولا تكن ذيل طون]¹⁴ وقال لي أيضاً: صغّر كرشك يعظم راسك»¹⁵

3. شيوخه:

تحدث جامع الكتاب عن ثلاثة من الشيوخ استقاهم من خلال ما ورد في الكتاب نفسه عن ابن المفتي الذي كان يروي عنهم فيما يبدو؛ وهؤلاء الشيوخ هم : "محمد بن نيقرو"، و"عمّار المستغاني"، و"مصطفى العنّابي"؛ فالأول أندلسي الأصل، جزائري المنشأ والولادة، درس على إبراهيم بن النّيقرو، كما درس على مشايخ آخرين، وصفه تلميذه بـ"العالم الفقيه التّحويّ الأصوليّ البيانيّ المنطقيّ المتكلميّ الحيسويّ الفرائضيّ المحدث، تولّى الإفتاء المالكي في 27 ذي القعدة سنة [1150هـ/1727م]، بعد وفاة المفتي "محمد بن أحمد بن مبارك"¹⁶ بثلاثة أّيّام، وكان يجمع بين الفتوى والخطابة، والتّدريس بالجامع الأعظم، ورواية الحديث بزواية الأندلس وقت الزّوال، في ثلاثة أشهر هي رجب، وشعبان، ورمضان. كما أن "بن نيقرو" لم

أبيها وزوجها ثم تولّى شاوش العسكر⁸ ببلد الجزائر وكان ذلك أّيّام تآمر الباشالار»⁹

وقبل ذلك نجد المؤلّف تحدث عن والده والوظائف التي تولّاها بما في ذلك وظيفتي القضاء والفتوى، لكن الغريب أنّه لم يذكر لا تاريخ ولادة والده ولا وفاته فضلاً عن سنة ميلاده هو نفسه يقول في خطبة الكتاب :

«إن والدي رحمه الله هو الشيخ الإمام الصالح الكامل العالم الأصولي الفقيه المتبحر حسين بن رجب شاوش هكذا عرف بن محمد ولد بمزغنى الجزائر وبها المنشأ والقبر وأما أبوه وجده فقد ولدا بقرية حصار من إقليم (ملمان) وهي أرض واسعة تقابل مدينة (أزمير)، وقد رأيتها سنة [1128هـ/1715م]، وهي سنة الزلزلة العظمى الواقعة بالجزائر¹⁰ والتي كانت سببا في انهدام كثير من الدور والقصور»¹¹

كما تحدث في نفس القسم من الكتاب عن الوظيفة التي تقلدها والده حسين بن رجب شاوش بقوله «ووالدي أول القلغار (ولعله يقصد الكرغال مفرد الكراغلة) في الخطة¹²، وقد صانها وزيّنها برفع الخصال، وكانت في أّيّامه ترد الأسئلة من البلد ومن الأماكن البعيدة، وقد يكون عددها في بعض الأّيّام في فصل الخريف نحو الثلاثين سؤالاً؛ لأنّ ذلك زمان الخصام على أراضي الحراثة، وخصوصاً يوم الأربعاء؛ فإنّه كانت تلقى فيه وتعرض على المجلس الشرعي»¹³

إضافة إلى وظيفة القضاء، يشير المؤلّف إلى أنّ الوالد "حسين بن رجب" قد تصدّى للإفتاء؛ ممّا جعله

أما مصطفى بن رمضان العنابي، فهو باحث فرضي، من كبار فقهاء الحنفية، ولد بعنابة، وبها نشأ وتعلم، وانتقل إلى مدينة الجزائر، فأخذ عن ابن شقرون التلمساني، وأجازه آخرون، من آثاره: "أرجوزة في الفرائض"، "الروض البهيج بالنظر في أمور العزوبة والتزويج"، مات بمدينة الجزائر [1130هـ/1718م]²¹ «ولعل الشيخ مصطفى قد توجه إلى مدينة الجزائر طمعاً في تولي منصب هام كالقضاء، أو الفتيا وهو المنصب الذي كان يتنافس عليه علماء وقته، كما أنّ مذهبه الحنفي يجعله مرشحاً دون غيره لهذا المنصب»²²

وقد كانت أسرة العنابي في مدينة الجزائر منافسة لأسرة قدورة، فالأولى كانت حنفية المذهب، مستندة على الحكم التركي الذي جاء بهذا المذهب، بينما الثانية كانت مالكية، وقد تقلدت الإمامة والخطابة في جامع سيدي رمضان، ومن أشهرهم سعيد بن إبراهيم قدورة وولده محمد وأحمد اللذان خلفاه في المنصب، ومن المعروف أنّ الداي محمد بكداش حكم على المفتي "أحمد قدورة بالإعدام سنة [1118هـ / 1707م] بعد سجنه لتدخله في السياسة، كما أنّ والده المذكور قد امتحن قبل ذلك وطرده بأمر العسكر، وكان ذلك بإشارة من حسّاده، وقد بعث في شأنه أحمد المانجلاتي بقصيدة إلى مفتي إسطنبول سعيد أفندي، يعرفه بمكانة قدورة، وعلى العموم فقد عاد هذا الأخير إلى وظيفته رغم ذلك.²³

يكن على وفاق مع قاضي بيت المال محمد بن ميمون¹⁷، وقد تعرض بن نيقرو لمحنة كبيرة، وتوفي بذات الجنب في 16 ذي الحجة 1152هـ/1739م¹⁸.

أما عمّار بن عبد الرحمن المستغامي الأصل والولادة، فقد قال عنه أنّه فقيه بياي أصولي نحوي متكلم منطقي فرائضي صالح، جاهل بأحوال الدنيا، بعيد عن أمورها، عاصر "محمد باشا" و"عبد باشا"¹⁹ وكانا يعظمانه ويتركان به، وكان فاضلاً، لكنّه كان عاجزاً عن الخطبة؛ لا صوت له عندها، يكتسبه الخجل إلى أن يعرق، مع أنه في تقريره للعلم جهير بالكلام معبر، ذو همة ونفس عالية، وعاش في أيام فتواه مشوّش البال، مكدر الحال من زوجته؛ تختلس الدّراهم من جيبه، فكان دائماً فقيراً مديناً، وكان له وظائف كثيرة؛ كالكتابة لأوقاف الجامع، ويقبض على الجميع ما يقرب من الخمسين ريالاً دراهم شهرية، ولم تكفه لسعة نفقته على ضيوفه؛ فكان ينفق عليهم الثلاثين والأربعين ريالاً، مرض بالجنب، وتوفي في 15 من صفر [1144هـ/1731م]²⁰

ولعلّه هو نفسه والد أحمد بن عمّار الجزائري، صاحب الرحلة الحجازية، المنشورة نبذتها، بعنوان "نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب، ومن المعروف أنّه مولود سنة [1119هـ / 1708م]، وبذلك يكون ابن المفتي أكبر من ابن عمّار بحوالي 25 سنة، وكلاهما عاش في القرن الثاني عشر، الذي برز فيه العديد من الأدباء والشعراء.

المالكية ومفتي الحنفية في مسألة الزوجة إن أساء إليها الزوج.

وبناءً على ذلك، يمكن القول إنه لولا التقييدات لما عرف ابن المفتي، وعلى الرغم من ذلك، فالكتاب وثيقة هامة من وثائق المرحلة الأخيرة من مراحل الحكم العثماني في الجزائر، أو ما عرف بعصر الدايات، وقد بدأت هذه المرحلة باغتيال الحاج علي آغا²⁴، هذا فضلاً عن ذكر العديد من التواريخ والأحداث التي عايشها، بما في ذلك الباشوات الذين تعاقبوا على حكم الجزائر، خاصة ما تعلق بمدينة الجزائر، التي ذكر بعض ما حلّ بها من الزلازل والنكبات عبر تواريخ مختلفة، إضافة إلى الحديث عن الكراغلة وهجرتهم من وإلى الجزائر، وكذا العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس، والحروب التي دارت بين الطرفين، والثورات الانكشافية على الأغوات، والوظائف التي تقلدها جدّ المؤلف (وهو المعروف بـ"شاوش")، كل ذلك وغيره ممّا نجده ماثلاً في القسم الثاني من الكتاب، ونعني به قسم الباشوات.

أما القسم الثالث، والخاصّ بعلماء الجزائر، فلا يقلّ أهميّة عمّا سبق، وإن كان أقلّ منه حجماً (في الكتاب الذي بين أيدينا؛ يقع (قسم الباشوات) في حوالي 44 صفحة، بينما لا يتعدّى قسم العلماء 27 صفحة)، ذلك أنّه تقييد للعديد من علماء المذهبين الحنفي والمالكي، الذين تعاقبوا على الإفتاء بمدينة الجزائر، في الفترة من سنة [1036هـ/1606م] إلى سنة [1166هـ-1753م]، بما في ذلك والد المؤلف، الذي تولّى الإفتاء وهو ابن ثلاثين سنة، مع ملاحظة أنّ

وكانت هناك منافسة بين شيوخ ابن المفتي، محمد بن نيقرو، ومصطفى العنّاي، لأنّ هذا الأخير كان حنفياً، وكانت الطائفة الحنفية العثمانية في الجزائر تحظى بكثير من الامتيازات، من ذلك تولّيها خدمة الزوايا والمدارس والمساجد، حيث أنشأت الجوامع الضخمة كجامع (كتشاوة)، ممّا ولد منافسة بين الرجلين، وقد كانت المحاسدة والوشايات معروفة بين العلماء، خاصة مع وجود مذهبين، بل وحتى بين خطباء المذهب الواحد، وفي تقييدات ابن المفتي إشارات إلى تلك الخصومات، ومن ذلك أيضاً ما أورده "الفكون" في منشور الهداية.

4. موضوعات التقييدات

نجد ابن المفتي يروي بعض الأحداث التي لم يكن شاهداً عليها، عن طريق "محمد بن نيقرو"، خاصة في "قسم العلماء" من التقييدات، والشّيء نفسه يمكن أن يقال بالنسبة لكلّ من "عبد الرحمن المستغامي" و"مصطفى العنّاي"، كما يورد بعض المجالس التي كان يحضرها كلّ من هؤلاء الثلاثة، وعادةً ما يكون المؤلف من بين الحضور إذا كان العالم الذي يترجم له من عصره، مع ملاحظة أنّه قد أعطى القسم الخاصّ بعلماء المالكية حظاً أوفر من التفصيل، مقارنةً بالقسم المخصّص لعلماء الحنفية، وقد ركّز في كلّ ذلك على "سعيد بن إبراهيم قدّورة" مفتي المالكية في عصره، وعن ولديه: محمد وأحمد، والنزاع الذي حصل بين مفتي

الدقيقة، لكنه كان يربط كل حدث بالشهر الهجري الذي وقع فيه، وهو ما يعطي التقييدات صفة الوثيقة التاريخية الرسمية في مجال ترتيب الحكام، وذكر التواريخ، وقد ذكر المؤلف نفسه أنّ عدد الباشوات الذين تولّوا حكم الجزائر حتى عهده هو أربعة وخمسون، إضافة إلى التوليات المتكررة للباشا الواحد، فهذا حسن بن خير الدين باشا، على سبيل المثال قد تولّى ثلاث مرّات: الأولى في جمادى الأولى سنة [952هـ/1545م]، مدّة ست سنوات، والثانية سنة [964هـ/1556م] مدّة خمس سنوات، أمّا الثالثة فكانت سنة [969هـ / 1561م] مدّة خمس سنوات.

إضافة إلى ذلك، فإنّ ابن المفتي يذكر بعض الفتوحات التي قام بها هؤلاء الحكام، وطردهم للإسبان عن بعض السواحل والمناطق الداخلية، فضلاً عن تلك الغزوات الخارجية نحو فاس وتونس، فقد ذكر المؤلف أنّ حسن آغا الذي تولّى سنة 944هـ [1537] قد تمكّن من فتح كلّ من مستغانم سنة 946هـ [1539م]، ويسكرة بعد ذلك بسنة واحدة، قبل هجوم التصاري على الجزائر سنة 948هـ [1541م]²⁸، وحسن هذا هو ثالث الباشالار، بعد إسحاق وعروج رفقة أخيه خير الدين بربروس، وقد توفّي في شهر رمضان سنة 952هـ [1545م]²⁹.

ومن ذلك أيضاً فتح بجاية سنة 962هـ [1554م] وقبل ذلك كان صالح رايس (الباشا الخامس) قد استولى على فاس سنة 961هـ

جلّ من ذكر المؤلف من الأحناف هم من أصل تركي؛ وذلك ما يؤكّده ما استهلّ به هذا القسم، وهو عنوان: قدوم الأتراك للجزائر، وظهور علماء أحناف.

وبعد ذلك نجده يذكر عبارة أكثر دقّة، وهي قوله: «ومن بين المفتي الذين أدركنا خبرهم ورأينا خطوطهم من القلغار (يقصد بهم الكراغلة)»²⁵. مما يؤكّد أنّ هؤلاء العلماء الأحناف هم من أصول مختلطة جزائرية تركية، أمّا علماء المالكية فقد أثنى عليهم عندما ذكر بأنّ من أراد الفتوى لم يكن بحاجة إلى الذهاب لشخص معيّن معروف بها؛ بمعنى أنّ أيّ عالم يوثق به يمكن استفتاؤه في مسألة ما، فيجيب؛ والسبب في ذلك أنّ مدينة الجزائر قد عُرفت بالعلم، وذلك ما يذكره المؤلف بقوله:

«وأما السادات المالكية فإنّ خطّة الفتوى بالجزائر قديمة؛ لأنّ هذه المدينة دار علم وصلاح، وكان العلماء الذين يوثق بهم يستفتون فيجيبون من غير تخصيص أحد في الفتوى»²⁶، كما نجد ذكراً لنزاع حصل بين مفتي المالكية، ومفتي الحنفية²⁷

5. الأهمية التاريخية للتقييدات:

5. 1 في التاريخ السياسي والإداري

حينما تطالع قسم الباشوات للوهلة الأولى، يلفت نظرك أنّ المؤلف كان ملماً بتواريخ تولية وعزل حكام الجزائر العثمانية، فقد كان يذكر التاريخ الهجري متبوعاً بالتاريخ الميلادي، صحيح أنّه لم يذكر التواريخ

عانت منها الجزائر على مدار التواجد العثماني بها، من ذلك الحروب التي جرت بين الجزائر وتونس، فضلا عن الحروب مع الصليبيين، وليس بوسعنا الإلمام بذلك كله، لذا سنكتفي بالإشارة إلى ما ذكره المؤلف بخصوص ما جرى بين الجزائر وتونس، يقول: «وفي 22 رمضان 1037هـ [1628م] هزم أهل الجزائر أهل تونس، واستولى أهل الجزائر على عشرين مدفعاً»

ولم يزد على ذلك، وهو يشير إلى حادثة السطارة، حول الحدود المسطرة بين البلدين منذ [1023هـ/1614م]، -و(السطارة) أو (الستارة) مكان قرب "الكاف" من التراب التونسي -، على عهد "يوسف داي" والي تونس، و"حسين باشا" حاكم الجزائر، وقد جرى بعد ذلك صلح في مكان يسمى "قصر جابر"، بين جمع من علماء البلدين، منهم "تاج العارفين البكري"³³ و"إبراهيم الغرياني"³⁴ من تونس، و"أحمد بن الحاجة"³⁵ من علماء الوفد الجزائري، وتم رسم الحدود بشهادة المفتي المالكي الشيخ قاسم البرشكي³⁶.

أما في الجهة الغربية نجد ابن المفتي يشير إلى ما أسماه حوادث تلمسان 1038هـ [1629م]³⁷، أين قام "محمد بن سوري" بفتح تلمسان في محلة غادرت الجزائر، وكان المدعي المغربي (أحمد بن عبد الله الفاطمي)³⁸ قد جاء ليحتل تلمسان في 8 رمضان من السنة المذكورة، «وحمل بن سوري إلى الجزائر جلد

[1553م] حيث «كان ممّا اشتهر به صالح ريس في مدّة إمارته على الجزائر الولوع بغزو سواحل أمم التصرايية بهذا البحر، والزحف نحو أساطيل العدوّ الرّاسية بموانئ هذه الشّواطئ ... وتقدّم إلى فاس فاحتلّها أيضاً يوم ثالث صفر 961هـ (8 جانفي 1554م) ونصب على عرشها أبا حستون مرتبطاً بالباب العالي»³⁰

كما يورد المؤلف في هذا الشأن الدور الذي لعبه الإنكشاريّة، الذين طالما تدخلوا في مختلف الصّراعات السياسيّة، وقاموا بتعيين وعزل من يشاؤون، لدرجة أنّهم لم يتورّعوا عن قتل من لا يجاريهم من الحكّام، فهذا الباشا حسين - مثلاً - رُجّ به في السّجن في 29 رمضان سنة [1025هـ/1616م]، وولي مكانه "القاضي المولى علي"³¹، وهو أمر غريب أن يولّى قاضٍ لأنّه لم يكن ينتمي إلى "العلوج"، ورغم ذلك فإنّ هذا الأخير لم يبق في دار الإمارة سوى يوم أو يومين، بدليل أنّ مصطفى باشا تولى في 02 شوال من السنة نفسها³²، مع ملاحظة أنّ فترات الحكم لدى الباشالار لم تكن ثابتة، إذ قد يطول زمن أحدهم، وقد يقصر زمن آخرين، تبعاً للأحداث والتّقلّبات السياسيّة والعسكريّة، بل قد يتولّى بعضهم لمزّاج كما رأينا مع حسن بن خير الدّين. ومثله في ذلك كلّ من "حسين باشا" و"يوسف باشا".

ومن التّاريخ السياسي الذي ألقى بظلاله على تقييدات ابن المفتي تلك الحوادث والغارات التي طالما

يتجلى ذلك في قسم العلماء، لأنه يصور لنا الأجواء الثقافية والعلمية في مدينة الجزائر، وقد فعل ابن المفتي في هذا القسم مثلما فعل في سابقه، إذ كان يذكر تواريخ تولية مفاتي الحنفية، ومفاتي المالكية، كما يذكر المدة التي قضاها كل مفتي، وما يلاحظ على تولية وعزل المفتي، أنه كان مرهونا بالتقلبات السياسية، وتولية وعزل الحكام، ومن الواضح أن مفاتي الحنفية الأوائل كانوا يأتون من الدولة العثمانية رفقة الباشوات، وبعد نهاية مدة خدمتهم ينتقلون إلى وظائف أخرى، وكان القاضي يعين لمدة سنتين ثم يعزل، من ذلك ما ذكره المؤلف مسلم أفندي الذي «قدم إلى الجزائر قاضي الطريق ورافقه ابنه (سيدي) محمد، ولما تم منصبه استوطن بالجزائر، وتزوج، ودخل في طريقة الخوجلار سنجاق طار (موظف حكومي) هو وابنه، فالأب خدم الثمرك (الجمارك) والابن خدم سبل الخيرات، وتولى خطيباً بجامع سفير سند الجبل»⁴⁴

وقد ذكر ابن المفتي من الحنفية 18 مفتياً ممن أدرك خبرهم، وكان أولهم "محمد بن قرمان" المتوفي سنة 1036 هـ [1606م]، حيث تولى من بعده أخوه "محمود بن قرمان" وأبناؤه، مراراً بالتداول مع المفتي محمد بن رمضان بن يوسف العلج، «وتوفي ابن قرمان الأخير مفتياً بالجزائر يوم السبت الرابع من ذي الحجة سنة 1066 هـ [1655م] وقت الظهر. وعاش بعده (سيدي) محمد بن رمضان منفصلاً عن الفتوى بأعوام،

المدعي، وجلد خليفته المهندس محشواً بالتبن في 15 رمضان 1038 هـ [1629م]»³⁹

ومن الأمور الإدارية التي أشار إليها المؤلف قضية الإفتاء وتنظيم القضاء في المدينة، ذلك أن هناك مذهباً: الأول حنفي وهو المذهب التابع للباب العالي، ويكون أصحابه من العلوج أو الفلغار، (أي من الأتراك)، أما الثاني فهو المذهب المالكي الذي كان سائداً في المدينة قبل قدوم الأتراك، وسيبقى بعد ذلك، يقول المؤلف في مستهل حديثه عن قسم العلماء: «اعلم أنه كانت هذه الجزائر في أيام العرب علماءها مالكية، ولما دخل الترك بدأ ظهور "الصفتالار"⁴⁰ من العجم، مصاحبين للباشالار، وبدأ ظهور علم الحنفية على لسان أولئك المذكورين، وتوصل البعض من أولاد الترك إلى الإمامة، والخطابة، وخطة الفتوى»⁴¹

وقد ذكر ابن المفتي التنظيم المعمول به في زمنه، في مسألة القضاء، حيث إن المسائل الهامة تنظر يوم الخميس، وفي ذلك اليوم من الأسبوع يجتمع كل من القاضي الحنفي والقاضي المالكي للنظر في تلك المسائل، وكان يساعدهما عدد من الأشراف والأعيان في البلد، غير أن الأمور تغيرت مع مرور الوقت حيث لم يعد المجلس يضم غير القاضيين والمفتيين، وعوض "باش ياباشي"⁴² "سكاهية دار الإمارة"⁴³، هذا الأخير الذي أحيل لدار الإمارة للمشاركة في إعلان الأحكام.

5. 2. في التاريخ الثقافي:

حسن، خارج "باب الحديد"، عقب تعرّض المدينة للقبلة من طرف الفرنسيين سنة 1093هـ [1682م]، لكنّها تعرّضت للتهب والسلب ذلك أنّ "الحاج سعيد" (كما سمّاه ابن المفتي ولعلّه يقصد قدّورة) كان مفرطاً في الإهمال، ومن الذين أخذوا الكتب "محمّد بن ميمون"، «وكذلك أخذ سيدس الطّبار الماروني عدداً من هذه الأسفار، وبعد وفاته نقلها ابنه إلى تونس وباعها، كما أنّ ولده ابن المرتضى وسيدي عبد القادر بن الشّويحات وآباؤهم وأبناء ابنة سيدي سعيد قد سرقوا كمّاً كبيراً من هذه الأسفار»⁴⁷

3.5. في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي

يقدم لنا المؤلّف صورة عن الأوضاع الاقتصاديّة في مدينة الجزائر تبعاً لشخصيّة الحاكم، من ذلك مثلاً ما ذكره بخصوص الازدهار الاقتصادي في فترة حكم الحاج علي آغا [تولّى من سنة 1075هـ/1665م - إلى مقتله سنة 1082/1671م، وبه كانت نهاية عصر الآغوات]⁴⁸ الذي سكن الدّار المعروفة بحجّي "باب عزّون"، وكان يتلّهّى مع بعض الحضر الذين اختارهم خلاناً له: «وحاز النّاس على غنى وافر في الذهب والفضّة، وأقاموا الدّور وأحسنوا تزيينها، وزرعوا البساتين، ورفعوا وسطها القصور الفاخرة، ولم يعد يرى إلّا الحدائق والرّياض الرّاهرة، وزرعت الحقول، وامتطى النّاس البغال الغالية والخيول، ولست ترى إلّا الجواهر، والأحجار ذات البريق الباهر، وساد التّرف العظيم في كلّ مكان»⁴⁹

لأنّه تعرّض له أبوه وهجره لأجل الولاية،، فبرّ والده وخلع نفسه»⁴⁵

وهناك مسألة أخرى نلمحها في تقييدات ابن المفتي، وهي المكانة السّامية التي كان يتحلّى بها العلماء لدى الحكّام الأتراك، لكنّها سرعان ما تراجعت، نظراً لبعض السلوكات التي جلبت الموازين، من ذلك ما فعله المفتي الحنفي محمّد التّيّار الذي وصفه المؤلّف بالجاهل والمرتشي، وقليل الدّين، وقال في شأنه: «وكان من قبل يقف الأمراء للعلماء والفقهاء عند الورود عليهم، ويقتلون أيدي العلماء والصّالحين، ويودّعونهم عند انصرافهم ... وقليل الدّين التّيّار ينحني على يد أهشي ويقتلها مراراً، فتبعه الرّفقاء وبقيت عادة»⁴⁶

أمّا بخصوص مفاتي المالكية فإنّ المؤلّف يشيد بمكانة "سعيد قدّورة"، الذي استطاع أن يفرض نفسه، وينال الخطوة لدى الحكّام الأتراك وأعيان البلد، رغم الوشايات والحساد، كما استطاع أن يستخلف ولده محمّداً بالفتوى والخطابة والتّدريس، وقد ذكرنا كيف عزل سعيد قدّورة غير أنّه استطاع العودة إلى منصبه، كما عزل ابنه محمّد عام 1090هـ [1679م] وعاد هو الآخر (دون أن ينوبه أحد)، واستمرّ في وظيفته إلى عام 1107هـ [1695م] حيث جاء بعده أخوه أحمد إلى عام 1118هـ [1706م].

ويدخل في المجال التّقافي حديث المؤلّف عن مكتبة الجامع الأعظم، التي نقلت كتبها إلى برج مولاي

وفيما يخصّ التنظيم الاقتصادي للمدينة فإنّ ابن المفتي يصف ذلك بقوله: «وعُهدت مراقبة الموازين والمكايل والأسواق لأمين الأمناء، ويتّأس كل طائفة أمين يتصرّف باسم الباشا، وتمّ تنظيم كلّ هذا باتّفاق مشترك بين الأمناء وأعيان المدينة وأمين الأمناء»⁵³

ومن الجوانب الاقتصادية التي يعالجها المؤلّف في تقييداته مسألة الهدايا والعطايا التي كان يستفيد منها بعض الدّايّات نتيجة مساعدتهم لحكّام تونس، فضلاً عن تلك الحملات التي شنّها بعضهم على إيالة تونس، وعادوا منها بغنائم وافرة، فمن أمثلة الهدايا الممنوحة الحكّام ما رواه "ابن المفتي" بشأن الحملة الثالثة على تونس (وكان عدد الحملات ثمانية)، حيث يقول: «وفي الثالثة قدم محمّد باي بن مراد للجزائر، وطلب المساعدة، وتحمّل بابا حسن أعباء دعواه، وجلب الوفاق بينه وبين أخيه رمضان باي سنة 1086هـ [1675م]، وبهذه المناسبة تلقّى أميرنا هدايا لا تعدّ ولا تحصى»⁵⁴.

أمّا بخصوص الغنائم، فنجد ذلك في الحملتين الخامسة والسادسة، حيث «استولى الحاج شعبان خوجة على تونس وحكمها شهراً بالتّقريب، ثمّ ترك فيها نوابه ودخل الجزائر بغنيمة ثريّة، وبعد مغادرته رجع إلى المدينة مظهرها المألوف»⁵⁵.

وعلى ذكر تونس فإنّ الحكّام الأتراك قد استعملوا القسوة في كثير من المرات، خصوصاً في غاراتهم على البلدان المجاورة، ومن بينها تونس، ومن أمثلة ذلك قيام

ولا يختلف الأمر كثيراً في عهد حسين رايس التّريكيّ الذي مُنح لقب دولتليّ، [1082هـ/1672م - 1092هـ/1682م]، إذ «كبرت بالجزائر البهجة والمسرات، والاجتماعات المفرحة والخيرات، وفاقّت كلّ ما رأيناه حتّى تلك الأيّام، لدرجة أنّها صارت شبيهة ببلاد الشّام، ويضاف لهذا رخاء السّلع وجودتها، وصار يضرب المثل برحاء البلد ... وبلغت الجزائر هذه المرتبة، وتنافس النّاس على رفع الدّور بالبناء»⁵⁰

لكن حالة الرّخاء تلك لم تدم، فقد ذكر المؤلّف أنّ الأوضاع السّياسيّة والعسكريّة كانت متقلّبة، وهو يشير بذلك إلى حملة الفرنسيّين، بقيادة "الأميرال دوكاسن"، فقد قام هؤلاء برمي ثلاثمائة بونبة [قنبلة] على المدينة سنة 1093هـ [1682م]، أدّت إلى تخريب بعض المساجد والبيوت، وفي السّنة الموالية، عاود التّصاري الكثرة بسبعمائة بونبة، وحتّى في ولاية "حسين ميزومورطو"⁵¹ رجعوا وألقوا بعض القنابل، واضطرّ هذا الأخير إلى استرجاع ثمن الأسارى الذين حرّره "بابا حسن"، فقام بتغريم الأهالي مبالغ كبيرة، يقول ابن المفتي: «وتضرّرت دارنا كثيراً من البونبة الأخيرة، وصرفنا على إصلاحها مائة وأربعين ريالاً، وثلّة قليلة من النّاس من لم يُبتلوا بأيّ ضرر في هذه الغارات الثّلاثة، وساء وضع المسلمين، وعانوا من المحنة، وفقدوا القسم الأعظم ممّا يملكون عند انتقالهم خارج المدينة بسبب العجلة الكبيرة في هروبهم»⁵².

كما نلمح في تقييدات ابن المفتي قضية التبرك والتعظيم لأضرحة الأولياء والصالحين، فقد ذكر المؤلف أنّ قبر شيخه أحمد زروق بن عمّار غير معروف لدى العامة من الناس، بينما يعرف هو مكانه، يقول في ذلك: «وأنا أعلم علم اليقين أنّه يوجد قرب قبر الوليّ الصّالح أحمد بن عبد الله الجزائري وسط الدّرج، قرب سيدي علي الشّاطبيّ، وقرب قبر الوليّ الصّالح سيدي عبد الرحمن الثّعالبي منّ الله علينا ببركاته آمين»⁵⁸.

وغالباً ما كان يدفن العلم أو الحاكم قرب ضريح وليّ من الأولياء الصّالحين لاعتقادهم ببركاته، ومن الأمثلة على ذلك دفن "دالي إبراهيم" قرب سيدي الكتّانيّ في الجزء الذي بجانب سيدي يعقوب، قريباً من السّبعة رجال الصّالحين (كما قال المؤلف)⁵⁹.

6. الخاتمة:

وبعد، فهذه بعض النتائج المتوصّل إليها في ختام البحث:

عرفت مدينة الجزائر عدداً من الحكّام الأتراك الذين كانت تعيّنهم الدّولة العثمانيّة، وقد ذكرهم ابن المفتي في تقييداته بالتّفصيل التّاريخيّ الذي يذكر تاريخ التّولية وتاريخ العزل، ومن البديهيّ أن يكون تاريخ تولية أحدهم هو نفسه تاريخ عزل سابقه أو قريباً من ذلك.

كان للكرّاغلة دور هامّ في مدينة الجزائر، إذ غالباً ما يتمّ توليتهم الوظائف الإداريّة والمناصب

إبراهيم خوجة الخزناجي رفقة حسين باي قسنطينة بالهجوم على تونس سنة 1147هـ [1735م] «وحوصرت القيروان وامتارت بالقمح؛ إلى أن وصل ثمن الصّاع ستّين ريالاً، وبلغ بهم الحال أن بيع دم الحيوانات المذبوحة، وأكل الناس نواة البلح وطحين التّخل، وباع المياسير ما يملكون ومات الفقراء، ولم يكن من التّادر رؤية ناس لم يتذوّقوا الطّعام منذ يومين أو ثلاثة»⁵⁶

وفيما يتعلّق بالجانب الاجتماعيّ، فإنّ ابن المفتي قد وصف المكانة التي كان يحظى بها العلماء في مدينة الجزائر، سواء من طرف الحكّام الأتراك أو من الأهالي، ونقصد بالعلماء هنا المفتاي والقضاة سواء من أصحاب المذهب الحنفيّ أو من المذهب المالكيّ، وقد ذكرنا سابقاً أنّ الحاكم كان يقبل يد العالم.

ولابدّ من الإشارة هنا إلى الدور الذي لعبه الأتراك في مدينة الجزائر، فقد كانت مختلف الرّتب العسكريّة والمناصب الإداريّة من نصيبهم، ومن المعلوم أنّ الثّغالبية هم من حكم المدينة قبلهم، يقول المؤلف: «وكانت مدينة الجزائر تحت إمرة العرب، وكانت رئاستهم في واحد منهم، وكانت [كذا] مقرّ ملكه الدّار التي هي اليوم نوبة البومباجية قرب باب الواد، لكنّه كان يسكن "الدّار الحمراء" قرب الوليّ الصّالح سيدي علي الفاسي، وتشكّل مداخيل هذه الدّار اليوم حبوس شراء الشّمع الذي يوقد بالجامع الكبير ليلة السّابع والعشرين من رمضان من كلّ سنة»⁵⁷.

أعدائه ومنافسيه"، وتمكّنه من استرجاع مكانته في تولّي الإفتاء المالكي والخطابة والتّدرّيس إلى وفاته، بل وتوريث ذلك إلى ولديه.

وأخيراً، فإنّ تقييدات ابن المفتي تعطينا صورة عن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في مدينة الجزائر، في ظلّ التّواجد التّركي، (من بدايته إلى ومن المؤلّف). بكلّ تفاصيلها.

7. المصادر والمراجع:

- 1 - ابن المفتي، التّقييدات في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، جمع فارس كعوان، ط1، دار الحكمة، العلمة سطيف، 2009.
- 2 - الجيلالي عبد الرّحمن، تاريخ الجزائر العام، ط7، ديوان المطبوعات الجزائرية، 1994، ج3.
- 3 - خلاصي عليّ، الجيش الجزائري في العصر الحديث، ط1، دار الحضارة الجزائرية، 2007.
- 4 - سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار البصائر، الجزائر، 2007، ج1.
- 5 - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ج1.
- 6 - سعد الله أبو القاسم، رائد التّجديد الإسلامي، محمّد بن العنّابي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.

العسكرية، مثل "شاوش" و"دفتر" دار و"يايا باشي" وغيرها.

لعبت بعض العائلات دوراً ثقافياً وروحياً في مدينة الجزائر، وبرز منها بعض الفقهاء والعلماء، مثل عائلي "قدّورة" والمرتضى.

شهدت المدينة محناً وكوارث طبيعية، أربكت السّاكنة، رغم بعض الفترات التي عرفت رخاء وسعة في العيش، في ظلّ الحكم التّركي، والذي كان بعض حكامه في خدمتهم.

كان ابن المفتي دقيقاً في توثيقه للحوادث رغم أنّه لم يشهدها عياناً.

كان ابن المفتي محايداً في بسطه للحوادث والأوضاع السياسيّة في ظلّ حكم كلّ من الأعوات والدّايات، حيث نشتم في تقييداته رائحة الدّم النّاتج عن الصّراع على السّلطة، في ظلّ تغلغل الإنكشاريّة، وفرض منطقها الذي لا يقبل المناقشة.

كان حكام الجزائر من الأعوات والدّايات يكلّون الاحترام للمفتي والعلماء والقضاة، بل ويقبلون أيديهم، غير أنّ "ابن المفتي" يشير إلى ما قام به المفتي الحنفي "محمّد بن التّيّار" الذي حطّ من قيمته، وقام بتقيل يد الحاكم.

رغم أنّ "ابن المفتي" لم يكن معاصراً لسعيد قدّورة، إلّا أنّه أطال في ذكر أخباره، وخبيا صراعه مع

⁹ - ابن المفتي التقييدات في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها جمع فارس كعوان ، دار الحكمة العلمية سطيف ط1، 2009، ص 37.

¹⁰ - تحدث ابن المفتي عن بعض الكوارث والآفات التي حلت بمدينة الجزائر في القسم الثاني الخاص بالباشوات ص76-78.

¹¹ - ابن المفتي التقييدات في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، ص36.

¹² - الخطة هنا تعني وظيفة القضاء.

¹³ - التقييدات، ص36.

¹⁴ - المقصود بالعبرة هو -كما جاء في الاحالة - كن الأول في عمل صغير ولا تكن الأخير في عمل كبير (انظر هامش ص 37).

¹⁵ - المصدر نفسه، ص: 36-37.

¹⁶ - ترجم له المؤلف في قسم العلماء وذكر انه كانت بينهما خصومة قديمة لكنهما تصالحا قبيل وفاة ابن المبارك التي كانت في 25 ذي القعدة 1150هـ/1737م (ينظر ص 109-110)

¹⁷ - هو صاحب كتاب التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية حققه وقدم له محمد بن عبد الكريم.

¹⁸ - محمد بن إبراهيم بن أحمد بن موسى التيقرو، الأندلسي الأصل، الجزائري الولادة والمنشأ والقبر، تولى لثلاثة أيام بعد وفاة المفتي محمد بن أحمد بن المبارك، في 27 ذي القعدة 1150هـ، - 1737م، كانت له خصومة مع محمد بن هدى الآتي ذكره (خال أحمد بن عمار صاحب نخلة اللبيب)، ينظر: ابن المفتي، تقييدات، ص: 110، ونور الدين عبد القادر، صفحات، ص: 286.

7 - عبد القادر نور الدين، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007.

8 - الفكون، عبد الكريم، منشور الهداية في كشف

حال من ادعى العلم والولاية، تح: سعد الله، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987.

9 - نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1980.

الهوامش

¹ - عبد القادر تور الدين، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007، ص: 9.

² - تاريخ الجزائر الثقافي 368/2.

³ - تاريخ الجزائر الثقافي 368/2.

⁴ - تاريخ الجزائر الثقافي 368/2.

⁵ - منذ انتصاب الحكم العثماني بالجزائر لم تتوان الدولة العثمانية في إرسال المدد العسكري للجزائر باعتبارها ولاية عثمانية.

⁶ - عبارة تركية تعني قائد الحرس.

⁷ - مثنى غليطة ، نوع من السفن.

⁸ - قائد الجنود وقد ذكر سعد الله أنها وظيفة سامية تسمح لصاحبها بالتعرف على أسرار الدولة، والتدخل في التولية والعزل والتأثير على الولاة أنفسهم (تاريخ الجزائر الثقافي 368/2).

²² - سعد الله أبو القاسم، رائد التجديد الإسلامي، محمد بن العنّابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1990، ص24-25.

²³ - ينظر في ذلك ترجمة سعيد قدّورة في: سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1998، ص: 364. أمّا قصيدة المناجلاّتي فهي مذكورة في كتاب مختارات مجهولة من الشعر العربي، ص 148، ومنها:

سرب القطا سر بالسلام وأسعد وانحضر إلى قمر
السعادة أسعد
مفتي البسيطة شمسها وهلالها وإمامها وهمامها
والمهتدي

قد أمّ بآبكم فقيه جزائر بانث فضائله لمن لم يحسد
²⁴ - تولى الحاج علي آغا الحكم سنة 1075هـ/1665م وهو أول من جمع بين السلطتين العسكرية والمدنية، وكان أول من لقب بالحاكم كما حرص على توثيق العلاقة بين الدولة الجزائرية والحكومة الفرنسية بمقتضى معاهدة (1038هـ-1628م)، قتل من قبل جنود البحرية فكان آخر الآغوات ليتم انتداب أحد رياس البحر وهو محمد التريكي ولقب بالداي (ينظر تاريخ الجزائر العام 165/3-167).

²⁵ - التقييدات ص86.

²⁶ - المصدر نفسه، ص93.

²⁷ - ينظر المصدر نفسه، ص102.

²⁸ - يقصد بذلك حملة شارلكان الكبرى حيث جاء الإمبراطور المذكور على رأس عمارة بحريّة تحتوي على 65 بارجة و451 سغينة تحمل 35730 مقاتلاً، وكان اتصال الحملة بالجزائر عصر يوم الخميس 28 جمادى الثانية 948هـ (23 أكتوبر 1541م)، وكان من

¹⁹ - تولى محمد خزناجي باشا يوم 05 جمادى الأولى 1130هـ/1718م بينما تولى عبيد باشا يوم 11 محرم 1145هـ/1732م (ينظر التقييدات، ص 61 و62).

²⁰ - ينظر ترجمته في قسم العلماء ص 108-109، وهو فيها عمار بن عبد الرحمن التلمساني.

²¹ - عائلة ابن العنّابي من العائلات المشهورة في مدينة الجزائر، وأصلها من "بونة" (عنّابة)، ومن بين أفرادها حسين بن محمد المتوفّي سنة 1737م، وكان مفسّراً من فقهاء الحنفية، وولي الإفتاء أربع مرّات، وابنه محمد المتوفّي سنة 1789م بمصر، كان قاضياً من فقهاء الحنفية، رحل إلى المشرق، أمّا حفيده محمد بن محمود (1775هـ / 1850)، صاحب "السعي المحمود في نظام العساكر والجنود"، فكان أشهرهم، ذلك أنّه أقرّبهم عصرًا، فقد شهد الفترة الأخيرة للوجود العثماني، وبداية الاحتلال الفرنسي، وهو من المجدّدين ودعاة الإصلاح، وبالعودة إلى مصطفى العنّابي فأغلب الظنّ أنّه المتوفّي سنة 1718، والذي تتلمذ على ابن شقرون التلمساني، وهو صاحب "الروض البهيج بالنظر في أمور العزوبة والتزويج"، ويؤيّد ذلك ما ذكره ابن المفتي في تقييداته، ص: 16. (ترجمة الجميع في: معجم أعلام الجزائر، ص: 244-245). كما أفرد سعد الله كتاباً منفرداً ترجم فيه لمحمود بن العنّابي، وفي كتاب تجارب في الأدب والرحلة نصّ لمقامة بعنوان "إعلام الأحبار بغرائب الوقائع والأخبار"، بعث بها أحمد ساسي البوني إلى صديقه الشيخ مصطفى العنّابي، يشكو فيها بعض ما حلّ به وبصديقه المفتي جزاء الوشاية الكاذبة،

هل من يبلغ ذات الحلي والحلل سلام صبّ يلي
بالحجر والحلل

(الفكّون، منشور الهداية، 218)

³⁵ - أبو العباس أحمد بن الحاجّة، ترجم له الفكّون في منشور الهداية ووصفه بقوله: «كان ذا فكر متين وذهن ثاقب، حسن السّمت والخلق والخلق، ومعه نجابة ودراية، تولّى النّياحة عن القضاة ببلد ميلة أول أمره، ثمّ تولّى نياحة بلد قسنطينة» (منشور الهداية، 213)، وابن الحاجّة هو من عرّف البكريّ والغرياني بمكانة عبد الكريم الفكّون، ما دعاها إلى مراسلته.

³⁶ - قاسم بن أبي الفضل البرشكيّ، من مفاتي المالكية بتونس، ذكره النّيفر في مسامرات الطّريف بحسن التعريف، 156/2.

³⁷ - قام بن سوري بحملته نتيجة قيام أهل تلمسان بإعلان الثّورة على الأتراك، وقد حاول سلطان المغرب استغلال الوضع لضمّ تلمسان لكنّه فشل، وفي هذا الصّدد نشير إلى موقف محمّد بن سليمان صاحب كتاب "كعبة الطّائفين" رفقه الشّيخ محمّد العبدلي، ومن شعر ابن سليمان قوله:

ترقب يوم موتك يا فلان وراهلك الرحيل من الديار
دراسة كتاب كعبة الطّائفين في كتاب سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار البصائر، الجزائر، 2007، 171/1.

³⁸ - عن ثورة أحمد بن عبد الله المدّعي ينظر الفكّون، منشور الهداية، ص 226. حيث يشير إلى زعم بعضهم أنّه المهديّ: «ويظنّون أنّه لم يمت، وأنّه غيّب إلى وقته المعلوم فيخرج، إلى غير ذلك من خرافات لا يليق سماعها»

³⁹ - ينظر المفتي، تقييدات، ص: 48-49.

المقدور تلبد السّحب وتحاطل الأمطار وهبوب الرّوايح في واقعة مشهورة انخرم فيها الجيش الكافر (ينظر على سبيل المثال: الجيلالي عبد الرّحمن، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجزائيّة، ط7، 1994، 62/3)

²⁹ - ابن المفتي، تقييدات، ص 39.

³⁰ - الجيلالي عبد الرّحمن، تاريخ الجزائر العام، 87/3.

³¹ - القاضي المولى عليّ الذي ذكره الفكّون وقال إنّّه اجتمع في داره بقسنطينة بعلي بن محمّد أجهل، وقد وصفه صاحب منشور الهداية بمعرفته ونجابه وقوة عارضته، ومشاركته في كلّ العلوم، أتى في مهمّة سياسيّة، كما أشار إلى انتقاله إلى الجزائر، وإقامته بها، واستقلاله بالإمارة، غير أنّه امتحن ونفي من قبل العسكر (الإنكشاريّة) وأخرجوه عن أهله وماله، ومات بتونس. (منشور الهداية، ص: 225-227).

³² - ينظر المفتي، تقييدات، ص: 46.

³³ - محمّد تاج العارفين بن أبي بكر بن أحمد العثماني، من سلالة عثمان بن عقّان - رضي الله عنه - وينتسب إلى أبي بكر دفين المنيهلة، أول من تولّى الإمامة بجامع الرّيتونة من هذا البيت، وكان ذلك في سنة (1034هـ/1624م)، أثبت له الفكّون رسالة في منشور الهداية حول الصّالح المذكور، (ترجمته في تراجم المؤلّفين التّونسيين لمحمّد محفوظ، 116/1 - حسن حسني عبد الوهاب، كتاب العمر في المصنّفات والمؤلّفين التّونسيين، 820 - النّيفر، مسامرات الطّيف، 218/1 - ونصّ الرّسالة في منشور الهداية: ص 215).

³⁴ - إبراهيم بن عبد اللّطيف الجديدّي الغريانيّ القيروانيّ، بعث هو الآخر برسالة إلى الفكّون، منها قصيدته التي تبلغ ثلاثاً وأربعين بيتاً، مطلعها:

— 1075/1665م] (يمكن الرجوع إلى كتاب تاريخ الجزائر العام، 168/3).

⁴⁹ - ابن المفتي، تقييدات، ص 66.

⁵⁰ - المصدر نفسه، ص 67.

⁵¹ - يرجع أصل ميزومورطو إلى إيطاليا، تولّى الحكم خلفاً لبابا حسن سنة (1094هـ / 1683) يعدّ أول من جمع في يديه بين منصب الداي والباشا، تخلّى عن منصبه كحاكم للجزائر سنة (1100هـ / 1689م)، حيث عُيّن كقبطان دوريا في القسطنطينية، وخلفه في حكم الجزائر الحاج شعبان (ينظر، ابن رقية التلمساني، الزهرة النائرة، ص 131 - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 140/1 - الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، 193/3).

⁵² - ابن المفتي، تقييدات، ص 68.

⁵³ - المصدر نفسه، ص 81.

⁵⁴ - المصدر نفسه، ص 70-71.

⁵⁵ - المصدر نفسه، ص 71.

⁵⁶ - المصدر نفسه، ص 73.

⁵⁷ - المصدر نفسه، ص 79. عن عادة الاحتفال بليلة

القدر يراجع، رحلة ابن حمادوش، ص 125.

⁵⁸ - المصدر نفسه، ص 96.

⁵⁹ - المصدر نفسه، ص 60.

⁴⁰ - الصّفظالار: هي جمع مفردة صوفنة، والتي تعني الطالب الذي يدرس في الجامع الفقه والنحو والمنطق.

⁴¹ - ينظر المفتي، تقييدات، ص: 86.

⁴² - باش ياباباشي كلمة مكوّنة من مقطعين: باش أي رئيس وياياباشي وهو ضابط مكلف بمرافقة الداي إلى المسجد أيام الجمعة والمناسبات الأخرى، وهي رتبة عسكرية في الجيش الانكشاري، ويحملون على رؤوسهم عمام بمحار ريش مختلف (خلاصي علي، الجيش الجزائري في العصر الحديث، دار الحضارة الجزائر، ط1، 2007، ص 132).

⁴³ - الكاهية هونائب الآغا ومساعدته وخليفته في حالة المرض أو العزل أو الموت، إذ يقوم الكاهية بالتيابة عنه حتّى انتخاب آغا جديد، وغالباً ما يكون هذا الآغا هو الكاهية (خلاصي علي، ص 132).

⁴⁴ - ابن المفتي، تقييدات، ص 87.

⁴⁵ - المصدر نفسه، ص 87.

⁴⁶ - المصدر نفسه، ص 89.

⁴⁷ - المصدر نفسه، ص 100.

⁴⁸ - عن مقتل الحاج علي آغا يقول المؤلّف: «أدركه بعض البائسين بطلقة نار في سوق التّمّاكين (سوق الأحذية المستعملة)، ووثب الأمير ليتبعهم، وسار بضع خطوات ثمّ فقد وعيه وسقط على الأرض، واندفع هؤلاء إليه وقطعوا رأسه، وأما حراسه ففرّوا إلى فوضى كبيرة، رحمة الله تعالى عليه» (تقييدات، 66)، ويذكر الجيلالي عبد الرحمن أنّ كلّ الأغوات السّنة الذين تولّوا حكم الجزائر كان مصيرهم القتل، وهذا واضح من قصر فترة كلّ منهم، الذي دامت في حدود أقلّ من سنة، ومجموع حكم هؤلاء كان ما بين [1070هـ/1660م